



واأسفاه إن كنت أظن أنني على الطريق إليك.. بينما الطريق ينأى بي عنك!

{وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ} (99) سورة الصافات

مسكين مسكين إن خرجت من الدنيا ولم أذق أطيب ما فيها: مناجاتك واستشعار قربك، والتحقق بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا!

{كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} (15) سورة المطففين، المحجوبون عنه في الآخرة هم المحجوبون في الدنيا.. لأنهم مطففون لا يحكمون الموازين!

حين أدعوك بالهدایة فأعظم هداية هي معرفتك، والإيمان بك، واقتباس جذوة من نورك تضيء قلبي..

كيف لي أن أحافظ على تلك اللحظات القليلة؛ التي أشراق لها قلبي، وانكشف بعض الحجاب عن بصيرتي؟

كيف أخلص من أوضار المعصية التي تشعرني بالجفوة والغفوة.. وتهدم ما بنيت؟

حين أذكرك يرق قلبي لكن لا طاقة لي بديمومة اليقظة حال الذكر إلا بمددٍ من عندك.

حين أتلوا كتابك ويسرح خيالي بقصص المقربين لديك، وأخبار وعدك ووعيدهك؛ تصغر الدنيا في عيني، وكأن ذلك كله رأي عين ثم تعاودني غفلي..

تصبح ساعات اليقظة ذواقةً ماضية وذكرى جميلة، فأخاف أن تكون إقامة للحجـة علىٰ وليسـت تقرـباً أو اصطـفاءً!

من تذوقـ معنى قربـك والـشعورـ بكـ كيفـ لهـ أنـ ينسـىـ ويـلـهـ ويـعـبـثـ؟

أنا اليؤوسـ حـالـ الشـرـ، المـعرضـ النـائـيـ حـالـ الإـنـعـامـ.. أناـ ذوـ الدـعـاءـ العـريـضـ حينـ الـابتـلاءـ.. السـادـرـ المـغـترـ حـالـ العـافـيةـ.

لا طاقة لي بدوام البلاء، ولا دوام لحياة قلبي حال الرخاء!

هل من سبيل إلى أن تصطبغ نفسي وروحي وعقلي وقلبي وجوارحي بمعنى رباني لا رباء فيه ولا سمعة لا يفارقني حتى حال الفترة؟

كيف التأسي بأولئك النفر الذين اصطفيتهم وجعلتهم من المحسنين، وسلكتهم في المقربين، وكنت تفتح لدعواتهم أبواب سماواتك، وتحوطهم برعايتك وعنايتك، وتصرف عنهم السوء والفحشاء؟

عيوديتي لك تقتضي التخلص من زوائد الـ(أنا) وتضمُّ الذات.

يتفلَّت في داخلي شخص مريض يقول: هذا أهانك! وهذا تجاهلك ولم يعرف قدرك! وهذا لم يقدمك.. وهذا وهذا، وكان الناس خلقوا واختبروا بك!

وكلما صغرتُ في عين نفسي أحسست أنني إليك أقرب.. فإن أظل محتفظاً بمعنى سجودي، وأن أتخلى عن خطرات الغرور والكثيراء.. فهذا يفسح الطريق للصفاء، ولكن كيف لي بذلك وأنا الغارق في طلب المزيد من الشهرة والمادة، المشغول بالتزين لعبادك، المنهمك في مقارنات لا تنتهي بيني وبين فلان وفلان؟

في لحظة صحو قلبي تطأ على مقارنات أخرى ويحضر الطيبون فأتساءل: هل سبقتهم أم سبقوني! ماذا يصنعون الآن؟ هل يجدون ما أجد؟ هل إشراق الروح موهبة أم فضلٌ محض؟

حين أُفِيق أقول: يجب أن أختار الله وطريقه بطوعية وحب ووعي قبل أن يختارني للموت قسراً بغير إرادتي..

أريد أن أكون كالغائب الحبيب يقدم على أهله، وليس كالعبد الهاوب يساق بعنف إلى أسياده..

وحياناً أقول: مازال في العمر متسع!

وحياناً أقول: الحب أسرار والبؤح به يفسده! والساكعون يستخدمون الاستعارات والتلميحات؛ ليجتنبوا الرباء والادعاء كما قال أحدهم:

**سَرَّتْ اسْمَكُمْ غَيْرَهَا أَنَا \*\*\* أَمْوَهُ بِالشَّعْبِ وَالْمَنْحَنَى!**

وخير ما ذكر الله به تلاوة آيات كتابه، وأذكار نبيه المصطفى وخليله المجتبى؛ محمد -صلى الله عليه وسلم-، وجوابع أدعية الشريفة..